مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

العدد06،05 السنة 2020، ص 194–207
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

النسق المعرفي للخطاب النقدي عند عبد السلام المسدي

The epistemology system of the critical discours of abd al-salam al-masadi

الباحثة: زياني لبية "طالبة دكتوراه"

Ziani lebia

1 المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة (الجزائر)، lebna.ziani@gmail.com.

ملخص البحث

يسعى إلى دراسة خصائص الخطاب النقدي لدى عبد السلام المسدي، من خلال الكشف عن بنيته ونسقه المعرفي، وقد جاءت المعاينة لبعض المظاهر مثل مفهوم الأدب، وطبيعة الخطاب النقدي، بالإضافة إلى المنطلقات المنهجية لدى الناقد، وعليه نتساءل مالمقصود بالنقد عند المسدي؟ وماهي ضوابطه؟

كلمات مفتاحية: النسق.، الخطاب.، النقد.، عبد السلام المسدي.،

Abstract:

The article seeks to study the characteristics of the critical discourse of Abd al-Salam al- Masadi, by revealing its structure and epistemological system. The inspection has come to some aspects such as the concept of literature, the nature of critical discourse, in addition to the critic's methodological principles, and therefore we wonder what is meant by criticism at al-Masdi? What are its controls?

Keywords: system; discours; critic; Abd al-Salam al- Masadi; keywords.

المؤلّف المرْسِل: زياني لبية، **الإيميل**: lebna.ziani@mail.com

مقدمة:

لاشك أن المتتبع لحركة النقد المغاربي المعاصر وما أفرزه توجه الحداثة سيجد خطابا نقديا مختلفا في مضامينه ووظائفه، مثل خطاب مرتاض، وحميد الحمداني، ومحمد مفتاح، الهادي الطرابلسي وغيرهم من المهتمين بالتأسيس لخطاب نقدي جديد يرمي إلى إثبات شرعيته ضمن خريطة النقد العالمي، لكن المساعي هذه تبقى قابلة للنقد في حد ذاتها، فمن حق المتلقي العربي

والمغاربي أن يميط اللثام عن بعض الممارسات ويوضح نسقها المعرفي، ولذلك سنحاول تقديم إضاءة منهجية وتحليلية لبنية الخطاب النقدي لدى عبد السلام المسدي.

ويرى المهتم بالنقد أن كتابات المسدي تنحو منحى نسقيا، فهو يهتم ببنية اللغة الشعرية والتخييلية، وينطلق من الوحدات الصغرى للنص ليصل إلى الوحدات الكبرى، كما أنه يستلهم من النحو والبلاغة العربية ذخيرة لا تقل أهمية عن مكتسباته المعرفية من الغرب، كما يولي اهتماما بالغا باللغة لأن الأدب يولد بواسطتها، ويدرس الأسلوب لأنه يتحدد اعتمادا على أثر الكلام، وبكونه عدولا عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وبهذا تبرز مقومات النقد لديه.

يندرج التوجه النقدي للمسدي في إطار فكر النسق المفتوح الذي يؤمن بسلطة النسق وقيمة السياق في مساءلة النص الأدبي، وتحليل بنياته النصية الكبرى، لكن هذا لا يعني بالضرورة انفتاحا تاما على السياق بقدر ما يعني استثمارا لبعض المعطيات التاريخية حول شخصية الأديب وحياته وتوجهه إذا ما تعلق الأمر بالتحليل النفسي للأدب كما فعل مع نص للشابي، ومع المتنبي، إذ طبيعة القراءة فرضت الاحتكام إلى السياق، أما باقي أعمال الناقد فتقريبا تندرج ضمن التحليل اللساني لصالح مفاهيم المحايثة، ورصد العلاقات بين الأجزاء والبنيات الداخلية للنصوص والعناصر المتفاعلة فيما بينها من الصوت إلى الدلالة، معتمدا محوري التأليف الأفقي والعمودي.

أولا: مسوغات التأسيس النظري لخطاب نقدي لدى عبد السلام المسدي:

يحاول عبد السلام المسدي إنتاج خطاب نقدي مؤسس على التناسق والانسجام الداخلي، وقائم على تصورات ومفاهيم إجرائية خالية من التناقضات، فيبرز بذلك تفكيره البنيوي الذي يبنى على ثنائيات من قبيل (الأسلوبية والأسلوب، النقد والحداثة، الأدب وخطاب النقد، اللسانيات ولغة الأدب، التضافر الأسلوبي وإبداعية الشعر)،لديه، كما تبين مساره البحثي وتوجهه النسقي.

يعتمد الناقد في تأسيسه النظري ومقترحه التنظيري على تقديم مفاهيم إجرائية لدوال لغوية يتأسس عليها خطاب النقد، قد تكون قريبة من مشروع عبد العزيز حمودة التي " جعلها تتألف من نظرية لغوية، ونظرية أدبية. وإذ وجد صعوبة الفصل بين ما هو لغوي صرف، وما هو أدبي أو نقدي صرف، حينما يتحدث عن البلاغة العربية التي قامت منذ البداية على الطموح لضبط المعنى والدلالة والتحديد الدقيق للعلاقة بين اللفظ والمعنى"[1]، لكن الاختلاف بين التوجهين يكمن في أن تفكير

المسدي لساني بنيوي في مجمله، ولا يطمح إلى بناء مشروع بقدر ما يسعى إلى ضبط آليات للنقد الأدبي تشخص مقومات الظاهرة الأدبية، وتوضح في الآن ذاته نواميس الظاهرة النقدية ومسلماتها باعتبارها نشاطا إنسانيا وجزء من منظومة ثقافية ومعرفية.

1.النسق الأدبي وخطاب النقد:

ينطلق المسدي في تحديده المفهومي للأدب من تدقيق مجاله الدلالي الذي يتنزل فيه، فهو يعني حسبه " كل معرفة اتصلت بتحويل الأداة اللغوية من مجرد وسيلة تحاور لقضاء المآرب عبر التخاطب الإبلاغي إلى أداة إبداع يكون فيها نسيج الكلام تجليا خاصا من تجليات الظاهرة اللغوية"[2]، تأتي هذه المعرفة بعد إدراك عميق للتحولات اللغوية من مستواها التخاطبي إلى مستواها الفني، يفضي إلى تعليل آليات التحول، لأن عماد العملية لا يقوم على الحفظ وحده بقدر ما يمر بمجموعة من العمليات الذهنية والعقلية.

وتتمثل غاية الناقد في رسم إطار أولي لنواة مشروع تأسيسي مداره توضيح العلاقة بين علم الأدب والنقد من أجل " إعادة فهم آليات النقد الأدبي من خلال البحث في منزلة المعرفة الأدبية ضمن بنية الهرم العلمي في تراثنا العربي"[3]، وتعتمد هذه المعرفة على النظر في التصنيف الداخلي للعلوم لإبراز علاقة الأدب بها ومنزلته داخل مقومات الحضارة، لكن مرامي هذا المسعى تبقى بعيدة لتشعب مسالكها.

يطرح ناقدنا تساؤلات منهجية تتجاوز دوائر التفكير التقليدي لترسم منعطفا جديدا للأدب وخطاب النقد، وتبدو هذه الأسئلة وهذا الانفجار في مجال النظرية النقدية قريبة مما قدمه تودوروف في كتابه "مفهوم الأدب"؛ إذ تتقارب الهموم وكذلك المحاولات في بناء وعي نقدي بالأدب وبطبيعته وبنيته من منظور بنيوي يؤمن باللغة وبالنظام، فمنطلق التساؤل لدى المسدي يتمثل في " ما موقعنا في سماء الأدب؟ وهل لنا من مرفإ في فضاء النقد؟ ثم كيف السبيل إلى حجز مقعد على مركبة الخطاب الجامع بين الإلهام الإبداعي في الأدب والتركيب العقلي في النقد"[4]، وهذا الطرح مشروع جديد لقراءة مختلفة للأدب من منطلق لساني بنيوي لا يقصي الجانب الوظيفي.

إن مدار الأدب لدى تودوروف يبنى على مقوم بنيوي ووظيفي، ويقوم على إدراك خواصه وطبيعته، يقول في هذا الشأن " سنسمي وظيفيا الفهم الأول للكيان، أي ذلك الفهم الذي يميزه

كعنصر ضمن نظام أكثر اتساعا، وذلك لأن هذه الوحدة "تفعل" فيه، وسنسمي الفهم الثاني للكيان "بنية"، حيث نريد أن نرى إذا كانت كل القضايا التي تضطلع بالوظيفة ذاتها تشترك بالخصائص نفسها"[5]، يتجلى فهم تودوروف لمفهوم الأدب باعتباره نظاما ونسقا، لكن سرعان ما ينتقد هذا التعريف ويعدله إلى التأكيد على الخاصية البنيوية للأدب دون الوظيفية، ولهذا يذكر حد التخييل قائلا " فإذا كان كل شيء يدخل في عداد الأدب هو بالضرورة تخييلي، فإن كل تخييل لا يعد بالضرورة أدبا"[6]، وقد ناقش جون سيرل القضية ذاتها، في تمييزه بين الخيال والأدب؛ إذ جعل هذا الأخير يقوم على الأول بينما الثاني على النقيض من ذلك، ويعزى تحديد أدبية نص ما إلى القارئ، في حين يحدد المؤلف وحده طبيعة عمله إن كان خياليا أم لا[7].

أفضى سؤال الأدب ومفهومه بالمسدي إلى ربطه باللغة؛ لأنها عماده فبها يكتب وتتحدد مضامينه وقضاياه، ويبدو تعريف الناقد للأدب تعريفا لسانيا بنيويا لا يخرج عن ثنائية اللسان والكلام، عما هو اجتماعي وفردي، بمعنى بنيوي ووظيفي، يشير إلى ذلك قائلا " إنما الذي نعنيه عند قولنا إن الأدب هو وليد اللغة وهو رهينتها هو أن نسبة الأدب وكذلك انتماءه لا يتسنيان في غالب الأمر إلا بالاعتماد على اللغة التي يكتب بها ذلك الأدب، وسواء أقلنا: أدب العرب وأدب اليونان وأدب الإفرنج وأدب الألمان، أم قلنا: الأدب العربي والأدب اليوناني والأدب الإفرنجي والأدب الألماني، فإننا نتجه في كل ذلك نحو اللغة التي خط بها الأدب الذي نتحدث عنه"[8]. وهذا التعريف يحمل خاصية الأدب المدركة بواسطة اللغة وليس بمجرد الوسيلة الأدائية، فخاصية اللسان النظامي والاجتماعي تتعالق بخاصية الكلام الفردي الذي يتنزل في سياق القول وتقرير الانتماء.

لابد، إذن، من البحث عن علاقة الأدب بخطاب النقد، أو كيف يمكن التأسيس لخطاب نقدي للأدب؟ وماهي القواعد والآليات التي يقوم عليها النقد ويخضع لها النص الأدبي؟. حقيقة النقد اليوم تتجاوز العرف المتعارف عليه، ذلك الذي كان يقوم على التمييز بين الجيد والرديء، فقد أضحى النقد " معرفة، وهو معرفة من طبيعة خاصة؛ إذا نظرت إليه من زاوية الفن قلت إنه علم الفن القولي، وإذا نظرت إليه من زاوية اللغة قلت إنه علم القول الفني، ولا يغير ذلك شيئا من أنه علم للأدب لا ينازعه أحد في أن يكون له من اللغة جهازه الاصطلاحي"[9]، فالنقد استراتيجية

معرفية وعلمية وتقعيدية لفهم النصوص الأدبية بواسطة اللغة وعن طريقها، وهذا يتيح للدارس الناقد أن ينتج نصا موازيا للحقيقة والواقع.

يكمن هدف النقد في بناء حوار واع وصريح مع المادة الأدبية لأجل بناء معرفة نقدية جديدة تحاكي النص الأصلي ذلك أن " النقد الذي هدفه استكشاف مادة الأدب عن طريق مقاييس العقل، وضوابط المنطق وأدوات الإدراك بغية الوعي بخبايا الظاهرة الجمالية يتحول بطبيعة أمره إلى إبداع نص جديد تقتضي لغته لغة النص الذي كان موضوع النظر والتمحيص لدى الناقد، فتتماهى اللغتان، لغة النص الموضوع ولغة النص المحمول عن طريق محاكاة النص الناقد للنص المنقود"[10]، بمعنى أن النقد لايهتم بتفسير الأدب أو شرح مضامينه، وإنما ينفذ إلى كشف طاقاته الداخلية ليبني نصا يحاكي ذلك النص من حيث المعرفة.

لقد أسهم التطور العلمي والمعرفي الذي شهده الدرس اللساني في بلورة مفاهيم جديدة للنقد الأدبي، فبدأ النقد يخطو خطوات عميقة إلى العلمية في محاولة لبناء نسق جديد للممارسة النقدية تتجاوز مساءلة المنتج وسلطته إلى سلطة النسق وبنية النص لرصد الثوابت اللغوية وتحولاتها، فقد " تحولت هموم النقد من نصوص المبدعين إلى البحث عن الأدب في حد ذاته، ولم يعد ما يقوله الأديب إلا مطية يتوسل بها الناقد ليمسك بتلابيب الأدب في وسمه وفي صياغته وفي مرماه"[11]، فالأدب، إذن، موضوع للنقد، والنقد يشتغل حيال الظاهرة الإبداعية من ناحية، والظاهرة اللغوية، والتواصلية من ناحية أخرى.

إن قضية العلاقة بين النسق الأدبي وخطاب النقد لدى المسدي تأخذ بعدا معرفيا عميقا يتجاوز وصف العملية إلى تشييد نظري لها وهمه في ذلك بناء آليات للنقد تسهم في تحليل النص الأدبي انطلاقا من بنيته اللغوية وظواهره الأسلوبية، ومظاهر الشعرية فيه، فالناقد يتوسل إلى الأدب بمنهجية وعدة معرفية مناسبة، تصبو إلى تحليل وحدات النص وأجزائه دون أن يحتكم إلى سلطة المؤلف وما يحيط بالنص من مرجعية، فيتم التركيز على الوظيفة التواصلية والجمالية في الآن ذاته، لأن الأدب نسق لغوي ومعرفي وتواصلي وليس مجرد تعبير عن العواطف الذاتية والمجتمعية، إنه انتماء خاص لملكة اللغة، ونسق اللسان، وخاصية الفرد المتكلم، والنقد على المسار ذاته يبني مفاهيمه وتطلعاته لبناء معرفة إنسانية تتعدى خريطة المكان.

ثانيا: النسق المعرفي لخطاب نقدي حداثي:

تقوم سيمياء التواصل النقدي على استراتيجية داخلية وخارجية، وعلى مجموعة من البنود المكونة لميثاق التواصل والتي من مسلماتها أن يواكب الناقد حركة التحديث وحركة تطور مجتمعه، وبهذا تكون استراتيجية خطابنا النقدي " جزء من التزامنا بالواقع التاريخي الذي ننخرط فيه، وجزء من ارتباطنا بطبيعة المجتمع الذي عنه صدرنا، وفيه نحيا،..."[12]، تتصدر هذه الغايات حيثيات التأسيس لخطاب نقدي لدى المسدي، فهي غير منفصلة عن التجسيد النظري لضوابط وآليات تتلاءم ومنطق الحداثة في النقد، بل وتصب في مجرى تحديث الخطاب النقدي وإجراءاته، فلم يعد الحال على عهده القديم لأن " انفجار النظرية النقدية قد أتى إلى الجوهر الذي حوله يتحدث النقاد فجعله جواهر، وجاء إلى موضوع النقد فجعله مواضيع: من الحديث عن الأدب، إلى الحديث عن النص، ثم عن الكتابة، فعن التلقي..."[13]، فمن تذوق النص وإبداء حكم معياري أولي إلى بناء نص يوازي النص الإبداعي وهكذا دواليك.

يحدث الانتقال من اللغة الوصفية(الأدب) إلى اللغة الواصفة(النقد) عبر مسالك خطابية مختلفة ذلك أننا في " النقد نتحدث باللغة عن اللغة فنقيم خطابا انطلاقا من النظر في خصائص خطاب آخر"[14]، بمعنى أن العملية النقدية تسمو إلى منطق توليد المدلولات من دال واحد أو عدة دوال، فالنص علامة والعلامات سيرورة تأويلية، " فمناط النقد من أي الأسلاك مسكنه ليس إلا كشفا لحجب المعنى من وراء حلل اللغة"[15]، والمعنى في ذاته متجدد تجدد القراءات النقدية.

يبين المسدي خطواته المنهجية نحو التأسيس لخطاب نقدي وممارسة نقدية ضمن إطار مزدوج ينتقل فيه بين ضوابط نسقية تنطلق من النص وتنتهي إليه، وبين مؤشرات خارجية كالتاريخ وضوابط التدوين وحيثيات القيمة من أجل كشف شعرية الشابي في ديوان أغاني الحياة، ف " التقابل المنهجي بين وجهة النقد الداخلي ووجهة النقد الخارجي قد يدخل في زاوية استثنائية تشع عليها أضواء مغايرة لأضواء العمل الأدبي المألوفة وذلك حينما يقوم لدينا خارج نص الشعر شاهد هو ليس كسائر شواهد التاريخ التي يحتكم إليها النقد التوثيقي ولكنه هو الآخر نص، ثم هو نص نقدي صاحبه هو صاحب النص الشعري الذي نتناوله بالنقد"[16].

إن الحداثة في الأدب تعني تخلص الأديب من المألوف وتتعلق بالصياغة والمضمون، وهذا " بمجموعه يحدد الخصائص الأسلوبية التي يسكب الأديب في قوالبها مادته اللغوية فينحت منها جهازا أدائيا يصدق عليه حكم الحداثة كلما أحسن فتق التراكيب وتوليد الدلالات مما يسمح بتفجير طاقة اللغة إبداعيا"[17]، للشكل الفني والبناء اللغوي دورا مهما في خلق الحداثة، لكن لا يمكننا دائما أن نأخذه معيارا أساسا نقيم عليه هذه القضية، والأمر ذاته بالنسبة إلى المضمون فليس كل تجديد أو خروج عن المألوف أو خرق للعادة وبناء للغرابة يسمى حداثة.

إن الذي يعنينا أكثر، الزوج الثاني للحداثة وهو ما يتعلق بالنقد وضوابطه المعرفية ومسالك الإدراك فيه من حيث الصياغة والمضمون أيضا، فأما " حداثة المضمون النقدي سُلَّما ينطلق من استحداث مقولات الاستكشاف عند تحديد موضوع المباشرة النقدية في النص الأدبي ثم يمر إلى استنباط قوالب الوصف وأجهزة التشخيص بغية رسم معالم الخطاب الأدبي وبعد ذلك ينتهي السلم إلى ابتكار أدوات المراوحة بين التحليل والتأليف حتى يتسنى إجراؤهما على بنية النص بفك انتظامه الظاهري ثم إعادة بنائه طبقا لعناصر الجهاز النقدي المبتكر"[18]. بينما تختص حداثة الصياغة بالخصائص النوعية للغة الخطاب النقدي وما يقترن بها من تجديد في المفاهيم والمصطلحات.

يمكن أن نلخص دعوة الناقد إلى حداثة نقدية، فيما يعرف بتأسيس نقد معرفي وليس نقدا لغويا أو فنيا، فغاية الخطاب النقدي رسم ملامح فكرية انطلاقا من مبدإ التوالد الوظيفي والإبداعي بين النص الأدبي ونظيره النقدي؛ بحيث " يتحدث النقد عن الأدب وإذا هو يتحدث عنه يصوغ قولا هو من جنس الأدب، فيكون قد ولد من النص نصا فإذا به يفتح لنفسه مسلكا جديدا إذ لا اعتراض عليه- بعد أن يشتق من النص الأدبي نصا نقديا- أن يتخذ نصه النقدي موضوعا لعملية نقدية جديدة تفحص مراتب التنضيد بين بنية الدوال وبنية المدلولات"[19]. فالنقد بهذا التصور الحداثي يفجر مضامين النص الأدبي ويعيد صياغتها بجهاز مفهومي وفق احتمالات متيسرة دون أن تغيب دلالة الأدب فتتحول الحداثة إلى مظهر سلبي.

ثالثا: المنطلقات المنهجية لخطاب نقدي:

1.النقد اللساني والتضافر المنهجي:

لقد مكن الاطلاع على اللسانيات بوصفها علما يعنى بدراسة اللغة دراسة موضوعية من التأسيس لميلاد توجه جديد في المعرفة الإنسانية؛ من حيث التنظير وإخصاب مقوماتها، فهي " تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا. فكان طبيعيا أن تستحيل اللسانيات مولدا لشتى المعارف... وهكذا تسنى لها أن تلتحق بالمعارف الكونية إذ لم تعد مقترنة بإطار مكاني دون آخر، ولا بمجموعة لغوية دون أخرى، ولا حتى بلسان مادة دون آخر"[20]. ففي ظل هذا التطور استطاعت اللسانيات أن تشيد بناء نظريا يحتذى به من طرف العلوم المجاورة وهذا ما ذكره كلود ليفي ستراوس في درسه الافتتاحي، ويؤكد المسدي ذلك قائلا " لقد أسست اللسانيات جملة من المقولات النظرية والتطبيقية هي من العمق ومن الصفاء بحيث لامست مرتبة القواعد المعرفية المجردة، وبذلك تحولت إلى فرضيات في البحث ومسلمات في الاستدلال.."[21]. مما يبرر طابعها التأليفي والتركيبي في دراسة الظواهر، وتحليلها للوحدات الجزئية ثم إعادة تركيبها.

تقوم علاقة اللسانيات بالأدب على مبدأ الحوار والاستفادة، وهو مبدأ قار للتعايش بينهما، ويعززه قانون اللغة باعتبارها الوسيط الدائم والمؤسس لعملية التواصل والتخاطب فيبدأ الوعي اللساني بالنص الأدبي من لحظة تلقيه كعلامة، وكدال، بإلقاء الأسئلة حول لغته من موقعين " موقع يصرح به ويتمثل في أنه لغوي يهتم بلغة الأدب، وموقع يخفيه ويتمثل في أنه لغوي ولكنه متمكن من ذائقة الأدب، وقادر على ولوج المخازن الشعرية"[22]

وهو العامل ذاته الذي يجمعها بالنقد الأدبي كنشاط وفاعلية إنسانية ، يقول أحمد يوسف بأن " اللسانيات الحديثة أمدت هذه المقاربات النقدية بجهاز من المفاهيم دفعها إلى تغيير طرائق تعاملها مع النص الأدبي، والنظر إلى بنياته اللغوية نظرة مغايرة لما كان عليه تاريخ النقد في السابق"[23]، بمعنى أن النقد الأدبي استقى مفاهيمه الإجرائية من اللسانيات مثل التحليل المحايث، والوصف، ودراسة البنية السطحية والعميقة، والدراسة الآنية، والمحور الأفقي والعمودي مما يثري جهازه المصطلحي في الآن ذاته، فلم يعد اليوم الناقد يتعامل مع الكلمات والجمل، وإنما أصبح تعامله مع النص كعلامة وبنية.

وعلاقة النقد باللسانيات علاقة براغماتية ونفعية بالدرجة الأولى ، فالنقد يسعى إلى تحديث أسسه المعرفية بالاندماج بها وفق " مبدأ التوظيف، فهو بذلك تضافر نفعي، وهو ككل علاقة

انتفاعية، محكوم بقانون الاستثمار، ومرصود بمعيار الاستعجال بحثا عن المردود الأنجع والأسرع"[24]، فالغائية تحدد مسار التفاعل البيني بينهما، ويبقى النص الأدبي الأداة التي تظهر عليها نتائج تلك التجربة لأن أول " ما يلتجئ فيه اليوم ناقد الأدب إلى علم اللغة يخص ميدان اللسانيات النظرية التي تسمى أيضا اللسانيات العامة، وتختص بالبحث عن مقومات الكلام كظاهرة بشرية مطلقة بغية تحسس النواميس المشتركة الرابطة بين مختلف أبنية الخطاب، وفي هذا المجال تحاول النظريات النقدية استلهام خصائص الظاهرة اللغوية في موضوعها ومادتها وتحولاتها حسب مراتب الكلام"[25]

قطع النقد اللساني للأدب شوطا كبيرا، وهي لحظات معتبرة في تاريخ الاقتران بين اللسانيات والنقد تبدأ من " مرحلة الدال وكانت المرحلة الثانية متقيدة بلحظة المدلول فإن الأفق الجديد الذي نسعى إلى تأسيسه يتقيد بلحظة الدلالة: أي لحظة الانصهار الذهني التي يمحي فيها حضور الدال بصفاته الفيزيائية ويخرج فيها المدلول من كينونته الأنطولوجية ذات الإيحاء الهلامي"[26]، فاللساني لا يبحث في حقيقة النص الأدبي، وليست غايته شرح علاماته والوقوف على خصائصه الشعرية والأدبية، إنه يسعى إلى استكشاف الظواهر اللغوية والدلالية ضمن بنود المدارس اللسانية وتحولاتها.

2.النقد البنيوي سلطة النسق ووهم المحايثة:

تأخذ البنيوية أبعادا مختلفة لدى المسدي، فهو يعالجها في كتابه "قضية البنيوية" من حيث بعدها التكويني، والمعرفي، والمنهجي والنقدي والفلسفي والتربوي، كما يطرح علاقتها بالأدب والنقد مقدما مجموعة من الاعتراضات كنماذج تقعيدية لدراسات سابقة، دون أن يصرح عن موقفه منها، فنلفيه في محطات كثيرة يقر بها كممارسة، إلا أنه يغرق في الجانب التنظيري دون ملامسة الواقع التطبيقي، ولعل الناقد يلح بصورة أو بأخرى على ضرورة فهم البنيوية كطرح معرفي قبل استثماره كمنهج نقدي.

فالنقد البنيوي تحليل الأدب بمنهج عقلي وبمعايير موضوعية دون إغفال مادته اللغوية التي تندرج في إطار الفن، ويوضح صلاح فضل غاية البنيوية في " إبراز كيفية تركيبه والمعاني التي تكتسبها عناصره عندما تتآلف على هذا النحو، فالشكل الأدبي عند البنائية تجربة تبدأ بالنص وتنتهي معه"[27]، فالنقد كما يصف فضل يركن إلى العمق بدل العرض، ويتسم بالشمولية ويقوم على القيم

الخلافية والتحليل المحايث، ويؤكد أحمد يوسف هذه الفرضية في تحديده له بأنه " يتعامل مع النص على أنه موضوع أو أي شيء مكتف بذاته، لا يهتم إلا بنسقه الداخلي. لهذا وصف النص من وجهة نظر المنهج البنيوي بأنه تنظيم خالص من الأشكال والعلامات"[28]، فالتحليل البنيوي ينفذ إلى النص الأدبي كأي منطوق كما حدده تودوروف بكونه مصنوعا من الجمل، التي بدورها تخضع لمستويات مختلفة من الكلام، فلا قيمة لأي مقوم سياقي ولا لإبداء الرأي، كل الثوابت موضوعية لدراسة المتغيرات.

تتمثل وظيفة الناقد البنيوي في المعاينة والوصف والإدراك، وهي مهمة منوطة بمعايير شكلية وموضوعية " فالأدب هو نفسه موضوع علم الأدب كما أن الشعر هو موضوع علم الفن الشعري، وهكذا اهتموا بالأصوات والإيقاع وبالصورة الفنية والاستعارة والعروض في علاقتها المتبادلة"[29]، فإدراك الخصائص اللغوية دون الجمالية ينبع من الاهتمام بالأثر الأدبي ذاته دون النظر في ظروفه الإنتاجية، وبذلك يتلخص هدف الناقد في " تقديم معنى للعمل الأدبي، من بين المعاني اللامتناهية التي يقبلها النص، ويحددها القراء بدراسة اللغة التي اعتبرها أساس كل عمل أدبي، أما المؤلف فلا يتعدى دوره دور الناسخ الذي يستمد نصه من اللغة، وينتهي بانتهائه"[30]، ومرد ذلك القراءة النسقية.

إن النظر في خصائص النقد البنيوي يقود إلى تمثل خطواته المنهجية والتي حددها كلود ليفي ستراوس في التركيز على الوظائف الداخلية للأنساق الصغرى، ثم إدراك العلائق التي تربطها ببعضها البعض، بعد ذلك يجب تقسيم التعبير اللغوي إلى عناصر محددة حتى يحد من التأويل اللانهائي، لينتقل إلى العلاقات الاستبدالية والتركيبية[31]، فالتحليل البنيوي منهجي وعلمي يهتم بالكشف عن " العناصر اللغوية الأولى، التي تتكون منها القصيدة بدءا من الحروف وتقابل ما يسمى في علم الأصوات(بالفونيمات)، ثم الوحدات الصرفية (المورفيمات)، ثم نماذج التراكيب الأساسية على مستوى النحو وكل هذه العناصر تشكل الخيوط الأولى التي يتم منها نسج القصيدة سدى ولحمة"[32]، فهذه الخطوات المنهجية تجنح بالنقد إلى الموضوعية وتؤسس نموذجا عالميا لدراسة الأدب، يفترض الناقد البنيوي أنه موجود فيحاول تحديد البناء الكلي لموضوع أدبية الأدب.

قضية اقتحام النص الأدبي ومبررات تحليله جعلت المسدي يطرق باب المسألة من وجهة نظر مختلفة، فهو يرى بأن " المبدأ المنهجي المقرر يعتزم الولوج إلى بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية ولكن هذا يصدق عند أول اتصال بالنص، أما الناقد فإنه يتقبل النص وهو قارئ له ثم يتناوله وهو ناقد، وعندئذ كأنما يصطنع عند الممارسة النقدية أنه غير مدرك للمضمون ليحاول تبرير الوصول إليه من خلال النسيج اللغوي"[33]. المكاشفة النقدية تنطلق من تحليل الخصائص التركيبية إلى تحديد الوحدات الكلية، وهذه المكاشفة تضطلع صناعة نموذج نقدي انطلاقا من النسيج اللغوي في تجليه، وفي مستواه السطحي والعميق قصد تدعيم فرضيات ستصبح لاحقا مسلمات.

خاتمة:

في نهاية البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

يعد النقد معرفة وهذه المعرفة ذات صلة بالعلوم جميعا، وهو بمثابة البوصلة التي تؤسس فضاء للتفاعل والتوجيه؛

يتميز الخطاب النقدي لدى عبد السلام المسدي بمجموعة من الخصائص التي تجعله خطابا منهجيا ومعرفيا يتعلق بالنص في ذاته؛

عالج الناقد مجموعة من القضايا التي تتعلق بطبيعة النقد، مثل الأدب وعلاقته بالعلوم المعرفية، وعلاقة النقد بالحداثة، وتأتي هذه المحاولة لتحديد الإطار المرجعي لنسق الخطاب النقدي عنده؛

تبين المعاينة المنهجية لبعض المنتخبات من كتب المسدي تضافرا بين العلوم والمناهج؛

نهل المسدي من اللسانيات فجعلها قوام الدرس النقدي وآلته، وقد استقى أدواته الإجرائية منها، فجمع بين النقد البنيوي والأسلوبي، وكسر حاجز مقولة النسق المغلق لصالح النسق المفتوح على السياق التاريخي .

إحالات البحث:

[1] محمد نبيل الصغير، تشريح المرايا، في نقد مشروع عبد العزيز حمودة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1436-2015، ص157

[2] عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 1994، ص113

[3] عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، ص114

[4] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط1،2004، ص07

[5] تريزيقان تودوروف، مفهوم الأدب، ترجمة منذر عياشي، النادي الثقافي الأدبي بجدة، المملكة العربية السعودية،دط، 1411-1990، ص37

[6] تريزيقان تودوروف، مفهوم الأدب، ص42

[7] Cf., John Searle, sens et expression,، Etude de théorie des actes de langage traduction et préface par Joëlle Proust, édition 1992, Pars p102

[8] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص23

[9] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، دط، دت ص19

[10] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، ص19

[11] عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، ص111

[12] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص46

[13] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص10

[14] عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، ص19

[15] عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، ص18

[16] عبد السلام المسدي، أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس،دط، ص47

[17] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، مع دليل ببليوغرافي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط1، 1983، ص13-14

[18] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ص17

[19] عبد السلام المسدي، النقد و الحداثة، ص29

[20] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا،ط2، 1986، ص09-10

[21] عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان،ط1، 2010، ص12

[22] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص20

[23] أحمد يوسف، القراءة النسقية، ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان،ط1، 1428ه-2007م ،ص69

[24] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص78

[25] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ص33

[26] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، ص21

[27] صلاح فضل، البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة،ط1، 1419ه-1998م، ص222

[28] أحمد يوسف، القراءة النسقية، ص204

[29] آمال بناصر، أثر الدراسات البنيوية في النقد الأدبي الحديث، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص لسانيات، إشراف، سيدي محمد غيثري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر،2013-2014، ص06

[30] آمال بناصر، أثر الدراسات البنيوية في النقد الأدبي الحديث، ص11

[31] ينظر، عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت،دط، 1998،ص117

[32] سعد عبد العزيز مصلوح، اللسانيات والنقد، أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 2017،ص40

[33] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، دار أمية، تونس، ط1، 1991،ص77

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

أحمد يوسف، القراءة النسقية، ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان،ط1، 1428هـ-2007م.

تريزيقان تودوروف، مفهوم الأدب، ترجمة منذر عياشي، النادي الثقافي الأدبي بجدة، المملكة العربية السعودية،دط، 1411-1990

سعد عبد العزيز مصلوح، اللسانيات والنقد، أوراق بينية، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 2017

صلاح فضل، البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة،ط1 ،1419هـ-1998م

عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، دط، دت.

عبد السلام المسدي، أبو القاسم الشابي في ميزان النقد الحديث، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، دط، دت.

عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2004

عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا،ط2، 1986

عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، مع دليل ببليوغرافي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،ط1، 1983

عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 1994

عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، دار أمية، تونس، ط1، 1991

عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2010

عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت،دط، 1998

محمد نبيل الصغير، تشريح المرايا، في نقد مشروع عبد العزيز حمودة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1436-2015

الأطاريح:

آمال بناصر، أثر الدراسات البنيوية في النقد الأدبي الحديث، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص لسانيات، إشراف، سيدي محمد غيثري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2013-2014

المراجع الأجنبية:

John Searle, sens et expression, Etude de théorie des actes de langage traduction et préface par Joëlle Proust, édition 1992, Pars